

الصورة المجازية في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية في محاولة الغوص في مكنون الوجدان الإسرائيلي، فوجدت أن ثمة إحساساً بالعبث وفقدان الاتجاه، والسوداوية والحتمية والإحساس بأن حالة الحرب دائمة. يظهر هذا بشكل شبه مباشر في كلمات موشيه ديان في جنازة صديقه روي روتبرج، الذي قتله الفدائيون الفلسطينيون: «إننا جيل من المستوطنين، ولا نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت دون الخوذة الحديدية والمدفع! علينا ألا نغمض عيوننا عن الحقد المشتعل في أفئدة مئات الآلاف من العرب حولنا. علينا ألا ندير رؤوسنا حتى لا ترتعش أيدينا. إنه قدر جيلنا وخياره، أن نكون مستعدين ومسلحين، أن نكون أقوياء وألا نعرف الرحمة، حتى لا يسقط السيف من قبضتنا فنلاقي حتفنا».

والصورة المجازية الكامنة، المستوطن المسلح الذي يمسك سيفاً بيده والذي يرتعد خوفاً من الحقد المحيط به، تتحول إلى صورة واضحة في كلمات الشاعر الإسرائيلي حاييم جوري حين تحدث عما سماه «مركب إسحاق» وهو أن الإنسان الإسرائيلي يُولد «وفي داخله السكين الذي سيدبجه». كما بين جوري أن «هذا التراب (أي إسرائيل) لا يرتوي»، فهو يطالب دائماً «بالمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى»، كما لو كانت أرض إسرائيل آلهة ثأر بذئمة، لا مجرد قطعة أرض أو إقليم. كما لاحظ الكاتب الإسرائيلي بن عيزر أن الإسرائيليين الشباب، الذين يخدمون في الجيش، يشعرون أن أهلهم - بالاشتراك مع الدولة - يضحون بهم دون تعويض أو عزاء من عقيدة دينية تؤمن بالحياة بعد الموت، ولذا فهم يشعرون أن هذه الحروب هي «تضحية علمانية بإسحاق»، أي أنها تضحية بشرية لا هدف لها ولا معنى.

وقد بينا أن أساطير القومية الصهيونية تترجم هذا الإحساس بالعبث إلى بناء أيديولوجي أسطوري مُحكم، ومن هنا ظهرت أسطورة ماساداه وشمشون. وفي كلتا الأسطورتين ثمة حالة حصار نهائية مغلقة، لا يمكن الفكك منها إلا بتدمير الذات وتدمير الآخر، نهايتها ليست سعيدة، وإنما إبادية للجميع.

ثم بينا أن ذات الإحساس بالعبث يظهر في الأغاني الإسرائيلية، فهي مليئة